

منه . ومنهم كانت Calmette وله بحوث قيمة في السل وفي الطب التجريبي ، وهو الذى أتقن تحضير التيوبركلين المستخدمة في تشخيص السل وعلاجه . ومنهم فيدال Widal وهو صاحب الاختبار الذى يعرف باسمه للكشف عن ميكروب الحمى التيفوئيدية . وغير هؤلاء كثيرون (١) .

١٣ - الاحتفال بالعيد السبعيني لباستير

لقد كان يوم ٢٧ / ١٢ / ١٨٩٢ يوما مشهودا ، إذ اجتمع في المدرج الكبير بالسوربون مندوبو فرنسا والدول الأخرى وأعضاء

(١) بعد الاحتفال بالعيد السبعيني لباستير بقليل وصله الخطاب التالى من « والدته » ، « سيدى لقد قت بأجل ما يمكن أن يقوم به رجل على سطح الأرض ، وإذا أنت أردت فإنك تستطيع حتما الوصول إلى طريقة لمعالجة مرضى الدفتريا الذى يفتك بأطفالنا . وإن هؤلاء الأطفال الذين تلقنهم اسمك ، وتعلمهم أنك أكبر محسن ، يطالبون بحقهم في الحياة ، وكان لهذا الخطاب تأثير كبير في نفس باستير ، فتمنى أن يقوى على العمل ، وأن تطول حياته ، وأن يتمكن من إجابة هذا النداء . ولكنه لم يضع وقتا في الأمانى فأخذ الدكتور دو لعب العمل عنه . وكان ميكروب الدفتريا معروفا وقد فصله المانى يدعى لوفلر ، وكان معروفا أيضا أن هذا الميكروب يستقر مكان الإصابة في الزور ولا يرسى سمه في الدم ، فتمكن رو من كشف سم هذا الميكروب . وجاء المانى آخر هو بهرنج من نلاميد كوخ فكشف عن المصل المضاد لهذا السم . ثم جاء دور دو مرة ثانية فوفق إلى الطريقة التى يحضر بها هذا المصل الواقع بمقادير كبيرة .

المعهد والسوربون وتلاميذ باستير للاحتفال بعيد السبعيني .

ودخل باستير القاعة في الساعة العاشرة متكئا على ذراع رئيس الجمهورية ، والموسيقى تعزف النشيد الوطني الفرنسي ، ثم اجلس باستير أمام منصة الخطابة .

وقام وزير المعارف وألقى كلمة مناسبة للمقام عدد فيها أعمال باستير ، وكان مما قاله : « من يستطيع في هذه اللحظة أن يذكر ما الانسانية في العالم أجمع مدينة به لك الآن ، وبكم ستكون مدينة لك أيضا في المستقبل » . ثم قدم اليه نيابة عن لجنة الاحتفال ميدالية نقشت على أحد وجهيها صورة باستير ، وكتب على الوجه الآخر بين الزهور والرياحين « إلى باستير يوم عيد السبعيني من فرنسا والعالم المعترف بالجميل » .

وقام لورد لستر الجراح الشهير الذي مثل جمعيات لندن وادبره فكان مما قال « لقد أزحت الستار الذي ظل عدة أجيال حاجبا حقيقة الأمراض المعدية ، فكشفت عن حقيقتها الميكروبية . فالطب والجراحة يقدمان اليك اعترافهما بما لك عليهما من فضل كبير » . ثم عانقه وكان في ذلك إشارة لطيفة إلى الرابطة الأخوية العلمية .

وقام باستير يرد على هذه الخطب ، ولكن صوته لم يصل إلى

آخر قاعة المدرج ، فقام ابنه وقرأ الخطاب بدلا منه ، وهو من الخطابات الجامعة . قال فيه : —

سيدي رئيس الجمهورية . « قد غير حضوركم هنا كل شيء . احتفال خاص صار عيدا كبيرا ، وذكري ميلاد عالم ستبقى بعملكم هذا يوما مذكورا في تاريخ العلم الفرنسي » .

وبعد أن ذكر الماضين من أساتذته وزملائه ، وجه الكلام إلى وزير المعارف وإلى بقية الحاضرين فقال : « سادتي : يظهر أنه بفكرة دقيقة ثاقبة منكم اردتم أن تستعرضوا أمامي كل أدوار حياتي . وأنتم يا حضرات مندوبي الدول ، الذين جئتم من بعيد تشركون في العاطفة مع فرنسا ، لقد ملأتم قلبي بأكبر فرح ، يمكن أن يشعر به رجل يعتقد أن العلم والسلام سيفوزان على الجمل والحروب ، وأن العالم سيفهم أن الواجب عليه هو البناء لا الهدم ، وأن المستقبل لهؤلاء الذين يعملون لخير الانسانية . أوجه اليك القول يا عزيزي لستر وإليك يا كبار ممثلي العلوم والطب والجراحة » .

ثم وجه الكلام إلى الشبان فكان مما قال : « عيشوا في هدوء المعامل ودور الكتب وسلامها ، وسلوا أنفسكم قبل كل شيء . ماذا صنعت بما نالت من تعليم وثقيف . وليكن تساؤل كل منكم متى نشأتم ماذا عملت لبلادي ، وليكن ذلك حالكم حتى يأتي الوقت الذي تشعرون فيه بالسعادة التي يشعر بها من أخذ نصيبه

فى العمل لآخير الانسانية وتقدمها . وإذا عمل المرء ثم أقعدته الظروف عن العمل حق له أن يقول لقد عملت كل ما استطعت .

سادتى : « أعبركم عن عظيم شعورى واعترافى . »

وعلت فى القاعة أصوات « ليحي باستير » ، وقام رئيس الجمهورية وسط ذلك الهماف وتقدم نحو باستير وصافحه وقبله ، وعزف النشيد الوطنى وبذلك انتهى الاحتفال .

١٤ - موت باستير

كان باستير فى سنواته الأخيرة ضعيف الصحة منحط القوى ، ولكنه بالرغم من ذلك لم يترك العمل ، بل كان يجاهد قدر ما يستطيع . وجاءت سنة ١٨٩٥ ف شعر فى الشهور الأخيرة منها بانحطاط عظيم فى صحته ، واشتدت عليه وطأة الشلل ، وأخذ النطق يصعب عليه ، إلا أنه احتفظ ببشره ورونقه وبهائه .

وكانت الحكومة قد أهدت اليه فى بلدة فيلنييف ليتان Villeneuve l'Etang الريفية منزلا ليجرى فيه بعض بحوثه فى داء الكلب ، فغادر باريس فى ١٣ يونيه سنة ١٨٩٥ وسافر اليه للراحة وقد أمضى فيه البقية التى قدرت له فى الحياة . وكان مساعدوه